

معايير تقييم جودة البحوث النوعية في العلوم الإنسانية

محمد بن عبد الله بن عطية الزهراني

محاضر بجامعة بيشة- كلية التربية- قسم المناهج طرق التدريس- المملكة العربية السعودية

طالب دكتوراه بجامعة اكستر البريطانية- كلية الدراسات العليا التربوية- المملكة المتحدة

alahmadim2010@gmail.com

استلام البحث: ٢٠٢٠/٤/٢٣ مراجعة البحث: ٢٠٢٠/٥/٤ قبول البحث: ٢٠٢٠/٥/١٤ DOI: <https://doi.org/10.31559/EPS2020.8.3.4>

الملخص:

يشير هذا البحث إلى معايير تقييم جودة البحوث النوعية في العلوم الإنسانية خاصة. فالبحث النوعي الذي نشأ في ضوء الفلسفة التفسيرية Interpretivism التي قدمت رؤية مغايرة لما كانت عليه دراسة الظواهر الإنسانية المعتمدة على الفلسفة العلمية Positivism أو العلمية الحديثة Post-positivism التي تعتقد أن الظاهرة الإنسانية تنسم بشيء من الثبات، وأن اكتشاف القوانين والعلاقات والأسباب والمتغيرات يؤدي لفهم الظواهر. وقد تبنت الفلسفة العلمية إجراءات صارمة لتحقيق الموضوعية كطرق قياس الصدق المختلفة، وأساليب التحقق من الثبات. وفي المقابل، تأتي البحوث النوعية كجانب آخر مستندة على الفلسفة التفسيرية التي تعتقد بأن المعاني تنتج من المجتمع، وتنتج بالتشارك فيما بينه. وهذا قد يصعب من تبني المعايير المستخدمة في البحوث الكمية لتقييم البحوث النوعية، مما تطلب العمل على إيجاد وتطوير معايير مستقلة صالحة لتقييم البحوث النوعية. وبالرغم من تعدد تلك المعايير والاستراتيجيات التي بمجملها تهدف لتحقيق مبادئ الجودة في البحوث النوعية، إلا إن هذا البحث حاول تقديمها في صورة مبسطة للباحث النوعي ليستنير بها حين القيام ببحث نوعي في التربية.

الكلمات المفتاحية: البحث النوعي؛ معايير الجودة؛ علوم إنسانية؛ تقييم.

المقدمة:

على الرغم من صعوبة تحديد تعريف عام للبحوث النوعية التي تجمع مجموعة واسعة من المناهج والتصميمات البحثية المختلفة، إلا أنه رغم ذلك التنوع المختلف في المداخل والمناهج وطرق جمع البيانات، حاول بعض العلماء والمهتمين بالبحوث النوعية الوصول لتعاريف تتضمن أبرز الروابط التي تجمعها.

فقد ذكرت مريم (Merriam, 2009, p. 13) بأن البحوث النوعية تهتم بالمعاني التي ينتجها الناس، وكيفية فهمهم لعالمهم، وتجاربهم فيه. بينما يصف فليك (Flick, 2009, p.66) البحوث النوعية بأنها تفسيرية المدخل، طبيعية التنفيذ والاكتشاف؛ حيث تهتم باكتشاف الظاهرة من الداخل، متخذة وجهات نظر المشاركين كنقطة لبدائها.

ويضيف ديزن ولينكولن (Denzin and Lincoln, 2011, p. 3) بأنه رغم التنوع المتأصل في البحوث النوعية، إلا أنه بالإمكان وصفها بأنها مجموعة من الممارسات التفسيرية، والجزهرية، التي تجعل العالم مرتباً، وهذه الممارسات تعكس العالم الذي يتمثل في مجموعة من الممارسات المعتمدة على الملاحظات الميدانية، والمقابلات، والمحادثات، والتسجيلات، والمذكرات الذاتية، والصور الفوتوغرافية... والباحثون النوعيون يدرسون الأشياء في مواقفها الطبيعية، كمحاولة لفهم وتفسير الظواهر في ضوء المعاني التي يعطيها الناس لها.

ويعرفها باركنسون ودرسلين (Parkinson & Drislane, 2011) بالبحث الذي يستخدم طرقاً؛ كالملاحظة، أو دراسات الحالة، التي تقود إلى الوصف السردي للممارسات، ويقوم على رفض مبادئ الفلسفة العلمية (الوضعية) Positivism في دراسة الظواهر الاجتماعية، متبنياً التفسيرية كفلسفة بحثية.

وقد حاول بعض العلماء أمثال فيليك، وستراوس وكورين، وبيلس ورفاقه (Flick, 2018; Strauss & Corbin, 1998; Willis, et.al., 2007) تعريف البحوث النوعية على نقيض أهداف ومناهج البحوث الكمية، بينما يعارضهم البعض؛ أمثال سيلفرمان (Silverman, 2013) في بناء تعريفات للبحث النوعي في ضوء قراءتهم التبسيطية للبحوث الكمية؛ فريمان (Bryman, 2016, p. 375) يحاول تعريفها بأنها البحوث التي تشير ضمنياً إلى استخدام الكلمات دون الأرقام في بياناتها، وأشار سندلوسكي (Sandelowski, 2001, p. 893) إلى أنها البحوث التي تركز على الاتجاهات نحو فهم الظواهر، والخبرات، والتفسيرات الإنسانية للعالم الاجتماعي، وتحقيقها من خلال المشاركين ذواتهم. ولكن يرى هامرسلي (Hammersley, 2013, p. 2) بأن البحوث النوعية قد تعرف على أنها شكل من أشكال البحوث الاجتماعية التي تميل إلى التنبؤ المرن لتصميمات البحوث المستندة على البيانات، والمستخدم للبيانات غير المنظمة نسبياً، وتركز على الدور المحوري الذاتي في العملية البحثية، لدراسة مجموعة من الحالات الطبيعية بالتفصيل، معتمدة على الألفاظ، دون الخواص الإحصائية والحسابية.

وبعد النظر في التعاريف السابقة، وتعدد وجهات النظر التي بُنيت عليها التعاريف؛ فإن من المفيد للقارئ التبسيط في التعريف؛ بحيث يكون أكثر إجرائية وتحققاً في الفهم الميسر؛ لذا فإنَّ البحث النوعي هو البحث الذي يشتمل على أي نوع من البيانات التي لا تتصف بقيم الترتيبية العددية، ويعتمد الباحث على البيانات المنتجة من المشاركين (أفراد/ مواد) التي يتم جمعها من موقع الدراسة في ظروفه الطبيعية، ويحللها استقراءياً من الجزء إلى الكل؛ للوصول إلى الاستنتاجات العامة التي تفسر الظاهرة المدروسة، وتشكل أنماطاً لها.

وقد أعطى بعض الباحثين عدداً من الخصائص المحورية لتصميمات البحوث النوعية، حيث تركز على الأسئلة الاستكشافية؛ كأسئلة: من، ولماذا، وكيف؟ بدلاً عن الأسئلة الإحصائية أو الحسابية، التي تهدف لوضع درجة محددة، وبهذا تأتي البحوث النوعية للتركيز على معالجة العمليات المتعلقة بالظاهرة، ومستثمرة طبيعتها المرنة في تصميم البحوث النوعية؛ فالمقابلات المفتوحة أو شبه المقننة، والملاحظة، ومجموعات النقاش (Focus Group)، والمقابلات الشاملة، والمحادثات، والمذكرات، التسجيلات الصوتية أو المرئية، وغيرها، ترتبط بشكل مباشر كأدوات لجمع البيانات في البحوث النوعية.

وتتسم البحوث النوعية بعدة خصائص؛ من أبرزها: اشتراك الأهداف والغايات في تحديد الفهم، والتفسير العميق للعالم الاجتماعي، بواسطة تعلّم المعاني الاجتماعية، والظروف الجوهرية، والخبرات، ووجهات النظر، والتاريخ المرتبط بالمشاركين في البحث، كذلك استخدام وتبني الأدوات غير الموحد؛ للحصول على البيانات الحساسة، وذات الأهمية البالغة في السياق الاجتماعي للدراسة، والتي بالإمكان الحصول عليها من كل مشارك على حدة، في ضوء ظروفه الطبيعية، أو في حالة السماح لاكتشاف الظواهر الحديثة والناشئة. ومن الركائز الرئيسية في البحوث النوعية تضمها للبيانات الشاملة، والواسعة، والمعقدة في الدراسة، كما أن تحليل البيانات يتسم بالتعقيد، والفوارق، وتقدير الاختلاف بين كل مشارك وآخر، أو تكرار البيانات الواردة من المشاركين، وتصنيفها في محاور رئيسية.

وتتصف البحوث النوعية بالمرونة والانفتاح الفكري للباحث أثناء مرحلة التحليل، وتفسير النتائج؛ بحيث يسمح للفئات والنظريات والتميزات بالظهور، وإعطاء كل معلومة من المشاركين أهميتها في البحث، وتتميز مخرجاتها بأنها تفصيلية الوصف حول الظاهرة المبحوثة التي تؤسس لها من منظور المشاركين واعتباراتهم.

إضافة إلى ذلك؛ فإن البحوث النوعية تأملية؛ حيث يقوم الباحث بمراجعة أدواره التي قام بها في البحث، والتي قد تؤثر في النتائج، وكتابة تقرير عن ذلك في صورة خبرة الباحث في المجال؛ حتى يتضح للقارئ الدور الذي قام به الباحث أثناء الدراسة، أو توضيح الميول والأفكار ووجهات النظر التي يحملها، مما يعطي مؤشراً للنزاهة في البحث النوعي (Ritchie, et.al., 2014).

وزيد على هذه الخصائص ماكي وجاس (Mackey & Gass, 2016) بأنَّ البحوث النوعية تتسم بقلة العينة المشاركة في جمع البيانات مقارنة بالبحوث الكمية؛ التي تهدف إلى تمثيل المجتمع، وتعميم نتائج العينة المستهدفة عليه؛ فالبحث النوعي يعمل بشكل مكثّف على عينة صغيرة لاكتشاف الظاهرة المدروسة، دون السعي لتعميم نتائجها على المجتمع، كما أنَّ البحث النوعي يتسم بأنه عملية دائرية موجهة مفتوحة النهايات؛ حيث يبدأ من خلال مسار استقرائي يتمثل من الجزء إلى الكل؛ فأفكار المشاركين قد تشكّل في مجملها إجماعاً لفهم الظاهرة، وربما تنتج افتراضات نظرية في بعض مناهج البحث النوعي.

ويعتقد براون (Brown, 2003, 1792) أنَّ إحدى جوانب القوة في البحث النوعي هي تشكيل افتراضات جديدة حول الظاهرة المدروسة حيث الافتراضات تتشكل بالترابط بين ما ينتجه المشاركون من معرفة متواترة ومكررة حول الظاهرة. وتهدف البحوث النوعية إلى تحقيق أهداف متعددة؛ منها: الوصف، والشرح، والتقرير، وإيجاد مفاهيم جديدة، وإنتاج نظرية حول الظاهرة المستكشفة (Cohen, Manion, & Morrison, 2018).

ويتضح من التعاريف السابقة والخصائص العامة للبحوث النوعية في العلوم الاجتماعية، بأنها تتمحور وظائفها في التفسير والشرح للأسباب والروابط التي تتعلق بما هو موجود، أو التقييم الذي يسهم في تقدير وتخمين فعالية ما هو موجود، أو الإنتاج التوليدي الذي يطور النظريات والإستراتيجيات والأفعال، أو السياقية التي تصف شكل أو طبيعة ما هو موجود من خلال البحث الوصفي (Ritchie, et.al., 2014).

ويقدم الجدول (١): مقارنة توضيحية بين وظائف البحوث النوعية والكمية، في ضوء المظاهر الأربعة المقترحة من رتشي ورفاقه (٢٠١٤)، وكيفية تناولها لدراسة الظاهرة المقترحة من عدة سبل وفقاً لمنطلقاتها الفلسفية المختلفة، ومن خلاله تتضح صورة التكامل فيما بينها.

جدول (١): مقارنة بين البحوث النوعية والكمية في ضوء وظائف البحث النوعي

وظائف البحث	البحوث النوعية	البحوث الكمية
Contextual	دراسة طبيعة الأشكال المختلفة من التنمر المهي، والخبرات؛ كماذا يعني التنمر؟	إلى أي مدى توجد مظاهر التنمر في الوجود الحقيقي؟ ما خصائص المتنمرين؟
Explanatory	وصف الأحداث التي تؤدي إلى التنمر، والعوامل والظروف والبيئة التي يحدث فيها التنمر، ولم يحدث التنمر أساساً؟ ولم يستمر؟	معرفة العوامل الإحصائية التي ترتبط بالتنمر، أو الخصائص والظروف ذات العلاقة به.
Evaluation	تقييم وتقدير الخبرات والتجارب، أو العوامل الأولية التي تظهر في فترة التنمر حتى نهايته.	تقييم إلى أي مدى تختلف أشكال التنمر واستخدام أساليبه؟ تقييم إلى أي مدى تحقق التدخلات النتائج المطلوبة لكبح التنمر؟
Generative	إنتاج المقترحات، أو الإستراتيجيات التي تقلل من تأثير التنمر، أو مساعدة الذين يقع عليهم التنمر؛ لتجنبه لاحقاً.	التنبؤ بعوامل ترتبط بالتنمر مستقبلاً، أو مستويات ونسب التنمر...، والتنبؤ بأشكال التنمر الجديدة، وتقديم الحلول.
أصل المصدر في (Ritchie, Lewis, Nicholls, & Ormston, 2014, p. 41) مع تعديل الأمثلة لتناسب مع الجمهور المستهدف		

وقد استخلص كل من لينكولن وجوبا، وبولكينهورن (Lincoln & Guba (1985, p. 39-43; Polkinghorne (2007) بأنَّ البحث النوعي يشترك في مسلمات عامة؛ من أبرزها: أنَّ الدراسة تُجرى في سياقها الطبيعي المعتاد، دون إجراء أي تغيير يؤثر على مجريات الواقع، ووصفها الإنسان أداة لجمع البيانات البحثية، والاستفادة من المعرفة الضمنية أو الخلفية الذهنية للمشاركين، التي قد لا يكون هناك مفر منها، واعتمادها على العينات غير الاحتمالية؛ كالتقصية التي تحقق أهداف الدراسة، وتضيف لها المعرفة، واستخدام المدخل الاستقرائي (Deductive approach) في تحليل البيانات دون مسلمات مسبقة للتحليل، والتحديث المستمر للتصميم البحثي طيلة الوقت، كما أنَّ مخرجات البحث تفاوضية وليست قطعية؛ حيث إنَّ البحث النوعي يرى بأنَّ العالم الاجتماعي غير مستقر؛ فالمعرفة من وجهة نظر النوعيين تشكل اجتماعياً، وهي غير مطلقة أو مجردة، وإنَّما متغيرة ومتعددة ومؤقتة؛ فالمعاني متعددة في العالم الاجتماعي، وتأخذ التصورات والمضامين الفردية والجماعية بالاعتبار لتكوينها، دون الحكم على بعضها بأنه أكثر صحة من الآخر، كما أنَّ تقرير البحث يتسم بطبيعته الفردية؛ نظراً لظهور بعض الظروف الذاتية التي تنشأ أثناء الاستكشاف، وتسهم في تنوع عملية ضبط إجراءاته، لكن دون الإخلال بمعايير الجدارة أو الموثوقية والجودة في البحوث النوعية.

المنطلقات الفلسفية للبحوث النوعية

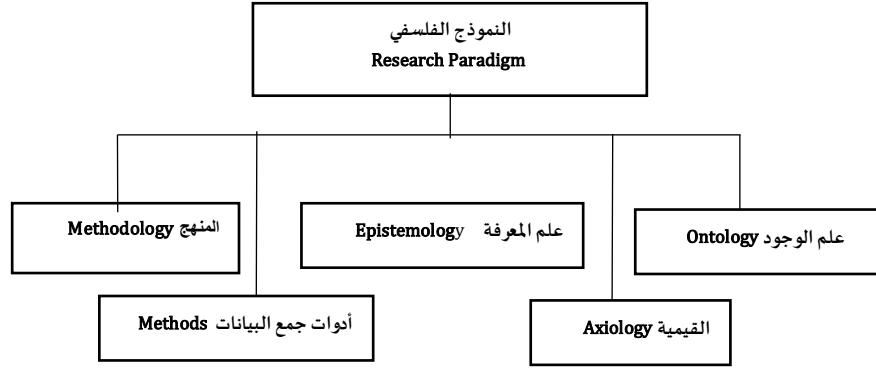
تعد العلوم الإنسانية محط أنظار العديد من الفلاسفات والنظريات التي تتناول الظاهرة الإنسانية من جوانب مختلفة؛ بوصفها الحقل الخصب للمنظرين والفلاسفة، في تفسير وفك ألغاز هذا المكوّن الإنساني المعقد في تراكيبه الجسدية، والسلوكية، والعقلية؛ فقد ساهم ظهور النموذج الفلسفي Research Paradigm في تزويد العلوم التربوية بالنظريات والمناهج والأدوات التي تتناول الظاهرة المدروسة، وتسهم في تفسير نتائج التحقق منها، فتارة باشتقاق القوانين التي تفسر حدوثها عند اعتبار العالم الاجتماعي مستقر، ومتربط، ومتسق للخصائص؛ وتارة أخرى بالغوص في أعماق الظاهرة الاجتماعية المفردة تفسيراً ووصفاً لفهمها الفهم الشامل، حين النظر لها بأنَّها حالة لا مثيل لها؛ بل ذهب بعض هذه النماذج لدور أعلى من سن القوانين، وتفسير ووصف الظواهر الإنسانية، إلى مسألة تغيير الواقع المعاش، وإيجاد بديل آخر؛ نتيجة للظلم والدونية والتمييز الذي يعيشه ذلك المجتمع في ضوء ذلك النموذج الفلسفي النقدي أو التحويلي، من حيث رؤيتهم للواقع. وقد يهدف البحث في العلوم التربوية إلى إجراء تقصي منظم لاكتشاف الظواهر بعمق، وتفسيرها من خلال تفسيرات وتصورات مختلفة؛ تشمل: المواقف، والنماذج الفلسفية المختلفة (Bryman, 2016).

إنَّ مصطلح نموذج البحث الفلسفي Research paradigm يعود إلى العالم توماس كون Thomas Kuhn عام ١٩٧٢م، والموضح في كتابه المعنون بـ "The Structure of Scientific Revolutions"، والذي يعرفه بأنَّه منظور نظري، يشير إلى كيفية تعامل الباحث مع إجراءات البحث، وكيف صُمم منهج البحث، وكيف قام الباحث بجمع البيانات، وتحليلها، وتفسيرها، ومناقشتها، (Creswell, 2014). ويعرفه أيضاً بريمان (Bryman, 2016, p. 637) بأنَّه "مجموعة من الاعتقادات، والإملاءات (المتطلبات)، التي بدورها - وبسببها - تؤثر على العلماء من حيث ما يجب دراسته، وكيفية إجراء البحث، وطريقة تفسير النتائج، وهكذا".

ومن خلال هذا التعريف يتضح دور النموذج الفلسفي في البحث، من حيث اختيار المنهج الذي يحقق أهداف البحث، والمنهجية المناسبة لتلك المشكلة، ودور الباحث تجاه التعامل معها، والأدوات المناسبة للإجابة عن أسئلة البحث؛ بل يتعدى دور النموذج الفلسفي إلى تفسير النتائج، ومدى تعميمها من عدمه في العلوم الإنسانية.

كما أنَّ هناك عدة عوامل تؤثر في اختيار النموذج الفلسفي؛ منها: الافتراضات نحو الحقيقة، وطبيعة المعرفة في البحث، والإطار النظري، والأدبيات البحثية السابقة للظاهرة محل الدراسة، ومنظومة القيم، والمفاهيم الأخلاقية التي تبنتها عملية البحث (Wagner, Kawulich, & Garner, 2012).

وتتفق الأدبيات البحثية السابقة في وجود أبرز خمسة نماذج بحثية فلسفية قد يستخدمها الباحث في العلوم الإنسانية، والتربوية خاصة؛ ليجيب عن التساؤلات البحثية، وتحقيق أهداف الدراسة، وتمثل هذه النماذج الخمسة في: النموذج الفلسفي العلمي (الوضعي) Paradigm، والنموذج الفلسفي ما بعد العلمي (ما بعد الوضعي) Post-Positivist Paradigm، والنموذج الفلسفي التفسيري/البنائي Interpretivist/Constructivist Paradigm، والنموذج الفلسفي التحويلي Transformative Paradigm أو النموذج النقدي Critical Theory، والنموذج الفلسفي البراغماتي/النفعي Pragmatism Paradigm (Crotty,2015; Creswell&Clark,2011; Pring,2015; Wagner, et, al.2012). كما أن العديد من الأدبيات السابقة تشير إلى أن النموذج الفلسفي يتألف من أربعة أركان أساسية (Creswell,2007; Guba & Lincoln,1994; Bryman,2016) أو خمس ركائز حين دمج المنهج بأدوات الدراسة؛ وهي: علم الوجود Ontology، علم المعرفة Epistemology، المنهج Methodology، أدوات جمع البيانات Methods، القيم Axiology. كما يوضحها الشكل (1) مكونات النموذج الفلسفي في البحوث التربوية.



شكل (1): مكونات النموذج الفلسفي

ومن المفيد هنا الإشارة بشيء من التفصيل إلى العناصر المكونة للنموذج الفلسفي، دون التوسع في استدعاء التاريخ الجدلي الواسع والمتناقض أحياناً بين العلماء فيها؛ فالهدف الإشارة إلى المصطلحات بشيء من التمهيد؛ حتى يتسنى للقارئ فهم تلك المكونات عند تناولها في كل نموذج فلسفي. فيُعرّف الوجود **Ontology** بدراسة الواقع، وطبيعة الحقيقة، المتمركزة حول السؤال "ما طبيعة الوجود؟" (Crotty, 2015). ويضيف جوبا (1990) Guba بأنّ السؤال الوجودي يسأل عن طبيعة الواقع. ويعتمد البحث النوعي على مبادئ النموذج الفلسفي التفسيري (البنائي)، الذي يفترض بأنّ الوجود أو الواقع متعدد؛ حيث يسعى الباحث لاكتشافه من خلال المعاني، والمفاهيم الإنسانية المشتركة (Henn, Weinstein, & Foard, 2005). كما أن الواقع أو الحقيقة جزء مما يتصوره العقل الإنساني، الذي بإدراكه لها تتكون المعاني والتفسيرات للحقيقة والواقع، وبناء على الفهم، والإدراك الإنساني للحقيقة؛ فإنّها تكون متعددة ونسبية، تتكون بالتشارك الاجتماعي، وتحمل التفسيرات في ذاتها؛ نظراً لتعدد الفكر الإنساني المنطلقة منه، والمنبثقة مما يدركه حول الظاهرة، كما أنّها نسبية غير مطلقة (Newman & Benz, 1998). إنّ البحوث الإنسانية والتربوية على وجه الخصوص تعتمد على نظريتين فلسفتين في الوجود؛ هما: الواقعية Realism، التي تعتقد بأنّ هناك واقعاً موجوداً، وعالمماً مستقلاً عن الباحث، وما عليه إلا اكتشاف القانون المسير لذلك الواقع وإدراكه (Pring,2015)، والنظرية النسبية Relativism التي تتناسب مع البحث النوعي، والمرتكزة على أنّ الحقيقة غير مطلقة، وإنّما نسبية ذاتية تتكون من خلال العقل الجمعي للمشاركين، وتفسيراتهم للظاهرة المدروسة.

وتهتم نظرية المعرفة **Epistemology** بطبيعة المعرفة (Crotty,2015,p.8). فيعرفها ويلنغتن (Wellington,2015, p.341) بأنّها دراسة طبيعة وصحة المعرفة الإنسانية.

وتحدد نظرية المعرفة العلاقة بين الباحث، والواقع المراد معرفته، مقسمة ذلك إلى قسمين، اعتمدت عليهما المداخل الكمية والنوعية؛ فالمنظور العلمي الذي تتبناه نظرية المعرفة في الواقعية Realism هو الموضوعية في اكتشاف واقع الظاهرة المراد دراستها، دون تأثير الباحث على العينات، أو البيانات، فالحقيقة تقع خارج تصوره الذهني، بحيث تكون قيم الباحث، ومبادئه، وتأثيره معزول عما سيدرسه؛ فيتقصى الظاهرة بشكل موضوعي كامل، دون التأثير في البيانات المنتجة، وإخضاعها للتحليل الإمبريقي؛ لتنتج معرفة قابلة للتحقق، متجدثة عن ذاتها، وفي المقابل تعتمد المنطلقات التفسيرية التي تتمثل في البحث النوعي، على أنّ المعرفة نسبية متعددة، غير مطلقة؛ حيث لا توجد معرفة بنائية ترى الحقيقة موضوعية، خارجة عن التصور الإنساني، وتنتظره لاكتشافها؛ فالمعاني تدرك بتشاركتها، وبنائها اجتماعياً (Crotty,2015).

وبناء على ذلك، فإنّ طبيعة المعرفة في البحث النوعي تتحقق من خلال المشاركين، الذين بدورهم، وبتعدد وجهات نظرهم، وخلفياتهم المعرفية؛ يكونون المعرفة حول الظاهرة المراد دراستها.

والمنهج **Methodology** هو خطة، أو إستراتيجية؛ لتبرير استخدام أو اختيار طرق جمع بيانات محددة دون غيرها (Crotty, 2015). بينما يرى مارجيك، ديمتيو، و فيستنجر (Marczyk, DeMatteo, & Festinger, 2005) بأنها "المبادئ والإجراءات التي تضبط البحث، وتوجهه التوجيه المناسب؛ للإجابة عن أسئلته، وتحقيق أهدافه". ويعرفها ويلنقتن (2015) على أنها نشاط أو مهمة اختيار الأساليب، وتقييم ذلك الاختيار، والتبرير لاستخدام أدوات جمع بيانات Methods دون غيرها؛ لتحقيق أهداف البحث، والتأمل فيها؛ لتقديم حجج تتسق مع استخدامها، وتوظيفها لتحقيق أسئلة البحث، في ضوء مبادئه، ومنطقاته الفلسفية (Wellington, 2015, p.33).

فالبحوث النوعية تعتمد على المدخل الاستقرائي Inductive Approach، الذي يبدأ من الجزء إلى الكل Bottom-up، وتتعدد مناهج البحث النوعي؛ كالاثنوجرافي (Ethnography)، ودراسة الحالة (Case Study)، والظواهرية / المفاهيمية (Phenomenology)، والنظرية المجردة Grounded Theory)، والتأويلية (Hermeneutics). والقيمة **Axiology** علم يهتم بدراسة القيم والأخلاقيات. (Kneller, 1971).

متى تستخدم البحوث النوعية

تستخدم البحوث النوعية للإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالتجارب الشخصية، والمعاني، والتصورات، والمنظور الجمعي لوجهات نظر المشاركين في البحث؛ بحيث تكون هذه البيانات غير قابلة للعد، والقياس الكمي، فالنظر لها يكون بنظرة شمولية، كلية، تكاملية، فما يفضي به مشارك من المشاركين يؤخذ بعين الاعتبار عند تحليل وجهة نظر مشارك آخر، وهذا فالنظرة تكاملية، ترايبية، شمولية؛ للوصول إلى تفسير الظاهرة المدروسة، وبالاعتماد على المجموعات الصغيرة؛ لاستقصاء معتقداتهم، وأفكارهم، ووجهات نظرهم حول ظاهرة ما، باستخدام طرق جمع البيانات المفتوحة، أو شبه المقننة؛ كالمقابلات، ومجموعات النقاش، وتحليل الوثائق، والفيديوهات، والسجلات، والتقارير، والمذكرات؛ بهدف الحصول على المعلومات الرئيسية التي تسهم في فهم الظاهرة فهمًا واسعًا.

وتتعدد المبررات لاستخدام البحث النوعي؛ فمتما: الحاجة لإنتاج نظرية تفسر الظاهرة الإنسانية، دون استعارة النظريات العلمية من مجالات العلوم المختلفة عن السياق التربوي؛ فمجال العلوم الإنسانية أصبح لديه القدرة على إنتاج نظريات تفسر الظواهر والقضايا الإنسانية، في ضوء سياقاتها الطبيعية التي تقع فيها. ومن منظور طبيعي تفسيري للظاهرة؛ فالتكامل والفهم المشترك بين أفراد المجتمع للمفاهيم، والظواهر، قد يسهم في معالجة الكثير من التساؤلات والمشكلات الاجتماعية، وإنتاج المعارف المثمرة حولها، بعيداً عن إسقاط القياسات، والاختبارات الموضوعية على المجتمع، والتعامل معه كوحدة ثابتة؛ كالمواد المادية التي تمثلها العينة، وتتطابق في خصائصها، ومكوناتها؛ فالمجتمع البشري - وإن تشابه في سمات عامة وخصائص مشتركة - إلا أن هناك العديد من العوامل الظاهرة والخفية التي تؤثر فيه، وتسهم في تطوره؛ فالإنسان نمائي بطبيعته الخلقية، وتطوري السلوك، فمن الصعوبة الحكم عليه، في ضوء نماذج ثابتة، قد تهمل رأيه، وخبرته، وانطباعاته.

وتسهم البحوث النوعية - كما أشير سابقاً - في تطوير الممارسات، والنظريات، والإستراتيجيات، وأحياناً توليد علاقات وارتباطات جديدة تكون الافتراضات، والغوص المتعمق في اكتشاف أسباب رفض بعض الافتراضات الكمية، التي يؤكد البحث الكمي عدم علاقتها دون تقصي الأسباب المفضية لذلك الرفض من وجهة نظر فلسفية مختلفة.

فيأتي البحث النوعي ليكتشف الأسباب الكامنة، التي كانت وراء عدم ارتباط المتغيرات، وإبراز الأنماط المتعلقة بتلك النظريات، وسياقاتها، بطريقة منظمة، وواضحة، تكشف تلك الأدلة التي أدت لرفض الفروض (Patton, 1990).

وفي المقابل، وبالرغم من الدور الذي تسهم فيه البحوث النوعية في تطوير وتحسين النظريات، إلا أن البعض يعتقد بأن البحوث النوعية قد تستخدم في اختبار النظريات ذاتها؛ فدونالد كامبل (Campbell, 1975) يشير إلى أنه بالإمكان استخدام أدوات جمع البيانات النوعية في جمع البيانات اللازمة للدراسات التجريبية، رغم أن هذا التوجه غير متلائم مع منهجه العملي الذي يعد رائداً فيه..

لذا فإن البحوث النوعية تحقق أهدافاً قد لا يتبناها المنهج العلمي المتبني من العلوم المادية، والذي يتعامل مع الظاهرة الإنسانية كظاهرة كونية مادية ثابتة، حين اكتشاف قانونها يسهل التعامل معها والتحكم فيها.

وقد أورد نيومان وبنز (Newman & Benz, 1998) بأنه وإن بدا في الظاهر التناقض بين المداخل البحثية الكمية والنوعية، إلا أنها في الواقع نهايتين مختلفتين، على خط متصل واحد، تتوسطها البحوث المختلطة.

الجودة في البحوث النوعية

تعد الجودة الركيزة الرئيسية في أي عمل بشكل عام، فكيف بها في البحث العلمي الذي يعرف على أنه عمل منظم في جميع خطواته؛ من مراحل الأولى، وصولاً لجمع البيانات، وتحليلها، وتفسيرها، وكتابة التقرير النهائي الذي يتضمنها كمنتج نهائي لهذه العملية البحثية. فمن المعتاد عند تناول معايير جودة البحث الكمي الإشارة لمبدأين رئيسين؛ هما: الصدق، والثبات؛ حيث بهما تقاس الجودة للبيانات الكمية، لكن حينما يأتي الحديث عن

البحوث النوعية فإنَّ الأمر يزداد تعقيدًا نوعًا ما؛ حيث إنَّ الحكم على البحوث النوعية قد لا يتبع الإجراءات التسلسلية والثابتة، المعمول بها في البحوث الكمية؛ وذلك لتعدد المناهج التي تقع تحت مظلة البحث النوعي، وتنوع طرق جمع البيانات النوعية، وأساليب تحليلها، وتفسيرها.

وبالرغم من هذا؛ فقد أثار هذا الأمر حفيظة العديد من الباحثين في البحوث النوعية، حيث يتفقون في ضرورة تجويد العملية البحثية في البحث النوعي، باستخدام أدوات لقياس الجودة في البحوث النوعية غير المعمول بها في البحوث الكمية (Altheide & Johnson, 1994; Hammersley, 2005; Lincoln & Guba, 1985).

ولهذا الرأي ما يبرره من حيث اختلاف المنطلقات الفلسفية لكلا المدخلين، كما جاء سابقًا عند تناول الفلسفة الواقعية والفلسفة النسبية، المختلفتين في رؤيتهما للوجود، والمعرفة.

وقد ساهم غياب المعايير الخاصة بجودة البحوث النوعية في محاكمتها وفقًا لمعايير البحوث الكمية؛ حيث أدى ذلك للحكم على ضعفها، وتدني مستوى جودتها، مما دعا بعض رموز البحوث النوعية؛ أمثال: سيلفرمان، وبريمان، ولنكولن، وجوبا، لتطوير بعض الإستراتيجيات التي تحقق الدقة في المنهج النوعي، وفي جمع البيانات التي تعد إرشادات عامة وتوجيهية للباحثين، والمبتدئين في البحوث النوعية، فتنبير لهم ما يأخذونه في الاعتبار عند تقييم جودة البحوث النوعية، وتمثل المحاور العامة التي قد تحاكم في ضوءها البحوث النوعية على الأقل لتحقيق الحد المقبول للنشر، كما تساهم في خدمة المؤسسات والجهات الممولة والراعية للبحوث النوعية، حين ترغب معرفة مدى جودة البحث الممول من قبلها، ومدى إتقانه (Bryman, 2016; Guba and Lincoln, 1994; Silverman, 2013).

وقد تباينت آراء العلماء حول نوعية المعايير التي تُبنى للحكم على جودة البحوث النوعية؛ فقد صنف علي ويوسف (Ali & Yusof, 2011) هذا التباين إلى التصنيفات التالية:

- توحيد معايير الحكم على جودة البحث العلمي، دون النظر فيما يتبناه من مداخل، أو منطلقات فلسفية؛ حيث يرى هذا الفريق ضرورة الطريقة الواحدة للحكم على الدراسات النوعية، ولكنه اقترح معايير الحكم على البحث الكمي؛ المتمثلة في: الثبات، والصدق الداخلي، والصدق الخارجي، والموضوعية، وهذه المعايير في ذاتها قد لا تتناسب مع البحث النوعي، وطبيعة الحكم عليه في ضوءها يضعفه - كما ورد أعلاه -.
 - عدم تبني طرق ووسائل للحكم على الدراسات النوعية؛ لتنوعها، واختلاف مناهجها، وأدوات جمع بياناتها، والظروف التي ينتج فيها البحث النوعي؛ حيث يعد هذا التوجه أنَّ الدراسة النوعية الواحدة دراسة فردية قائمة بذاتها قد لا تتشابه غيرها، مما يصعب إيجاد المعايير العامة التي تحاكم في ضوءها البحوث النوعية. وممن تبنى هذا الرأي سميث (Smith, 1984, p. 384)، و شواندنت (Schwandt, 2000)، اللذان يريان رفض المعايير؛ حيث إنَّها تتعارض مع منطلقات الفلسفة التفسيرية، التي تعتقد أنَّ المعارف تبنى بالتشارك الاجتماعي، وأنَّها متجددة، ومتغيرة في ضوء ما يراه ويُجمع الناس على فهمه، وتصوره، وهذا الجدل ظهر في بدايات ظهور البحوث النوعية، التي قدمت توجهًا جديدًا مغايرًا للبحوث الكمية، التي ساد عليها العمل في قوالب ومعايير دقيقة في جميع منطلقاتها، مما وُلد طيف من العلماء النوعيين يرى بعدم تقييد البحث النوعي بمعايير تُجد من سعة أفقه في استكشافه للظواهر الإنسانية في سياقها الطبيعية.
 - بينما يدعو فريق ثالث من العلماء إلى الاستفادة من المعايير المستخدمة في الدراسات الكمية، وتعديلها بما يتوافق مع السياق المناسب للدراسات النوعية.
 - ويرى آخر تطوير معايير خاصة بالبحث النوعي. فيما أنَّه مخرج للفلسفة التفسيرية، التي تتعارض منطلقاتها مع الفلسفة العلمية (الوضعية)، بحيث تكون هذه المعايير قادرة على الحكم على جودة هذا البحث دون غيره؛ فالفلسفة بطبيعتها العامة قادرة على تقديم تصور عام لما هو أعلى من المعايير، والمؤشرات؛ كتقديم تصور عام للكون، والحياة، والإنسان.
- ويتضح من تلك التصنيفات اتفاق الكثير من الآراء على ضرورة إيجاد المعايير والطرق والوسائل والمؤشرات التي تضبط جودة البحث النوعي، باستثناء رأي واحد يرى بعدم سنها، وبالرغم من اتفاقهم إلا أنَّهم يثيرون التساؤل حول نوعيه المعايير التي تُقيَّم البحوث النوعية في ضوءها، أو طبيعة الخصائص والسمات التي ينبغي توفرها في البحث النوعي، أو تحديد مصادر بنائها؛ فالحكم على جودة البحث النوعي يتمثل في تنظيم وتقديم البيانات النوعية، وإخراجها في محتوى مفهوم ومترايط ومنطقي للقارئ؛ فالكفاية في جمع البيانات، وتحليلها، والاستفادة منها، وتنظيمها، وتفسيرها تفسيرًا واضحًا، وترميزها، وربط الترميزات ببعضها ربطًا منطقيًا، واستنباط محاور عامة منها؛ يسهم في جودة البحث النوعي، وسيأتي في المحور التالي تناول المعايير والمؤشرات والإستراتيجيات التي قد تعد منطلقًا لجودة البحوث النوعية. واعتقد بأنَّ سبب ظهور الرأي المعارض للمعايير الذي نشأ في زخم الجدل المحتدم بين النماذج الفلسفية هو تركيزه على توطين البحث النوعي والمساهمة في انتشاره كأولوية له ومن ثم تأتي مرحلة التقييم والجودة والتأمل في الإجراءات.

معايير جودة البحوث النوعية

بعد استعراض الحاجة إلى معايير الجودة في الدراسات النوعية، وتباين الآراء حولها في القسم السابق، يأتي النقاش في هذا القسم حول مجموعة من المقترحات لإستراتيجيات وطرق تحقيق الجودة في البحوث النوعية، وعلى الرغم من صعوبة إيجاد معايير ثابتة تتلاءم مع تصميمات البحوث النوعية المختلفة، إلا أن هناك بعض التشابه في معايير التقييم كما سيأتي لاحقاً.

فيقترح ريد وكاف (Reid and Cough, 2000) بأن معايير جودة البحوث النوعية تتمثل في مقترحات لقائمة من الأسئلة، التي بمجموعها قد تؤدي إلى تحقيق جودة البحث النوعي، ومعالجة القضايا بطريقة تسلسلية منطقية، وتحرير البيانات من تدخلات الباحث الذاتية غير المبررة، وتأثيره على مخرجات البحث، وتحديد الدور الذي يقوم به في مجريات البحث النوعي.

وقد يظهر ذلك من خلال تحديد المنهج المناسب لجمع البيانات، وتحليلها، وتفسيرها (Volmerg, 1983, p. 124). أو من خلال سبل قياس الموثوقية المختلفة؛ كالصدق التراكمي، أو الصدق التواصلي، أو السياقات البيئية (Köckeis-Stangl, 1980).

فتحقيق الصدق والثبات ليس حصراً على البحوث الكمية فحسب؛ فالبحوث النوعية تهتم بتحقيق الموثوقية والمصدقية بطرق متعددة، وتحت مسميات مختلفة، تهدف في مجملها إلى تحقيق جوانب القوة في البحث؛ كمدى المصدقية، وقابلية النقل، والاعتمادية، والتأكيدية، والتي سيشار إليها بالتفصيل - كمعايير عامة تشترك فيها البحوث النوعية - قبل تناول المؤشرات والإستراتيجيات التي تحقق تلك المعايير.

إنّ البحوث النوعية تتبنى مجموعة من الطرق المختلفة؛ للتأكد من الصدق والثبات الذي يعبر عنه بمصطلح الموثوقية Trustworthiness. فيورد سارانتيكوس (Sarantakos, 2012) بأنّ الصدق التراكمي Cumulative validity هو الذي تقارن فيه نتائج الدراسة الحالة بنتائج الدراسات السابقة؛ ليصدر الباحث حكمه على مدى اتساق أو اختلاف نتائج الدراسة مع نتائج الدراسات السابقة. وهذا فإنّ الدراسات السابقة ذات الصلة المباشرة بالدراسة الحالية تعد مقاييس معيارية لنتائج الدراسة الحالية. كما يضيف نوعاً آخر من سبل قياس الصدق في البحث النوعي، تحت مسمى الصدق التواصلي Communicative validity حيث يعد التواصل مع المشاركين، وتتبع البيانات، والتأكد من صحتها، وتقييم عمليات الحصول عليها، وتحول الأهداف كما في نموذج دلفاي، واستخدام المصادر المتعددة Triangulation، وتقارير الخبراء والمتخصصين حول البحث؛ يسهم في تحقيق المصدقية والواقعية لنتائج الدراسات النوعية. وكذلك يقترح نوعاً ثالثاً لتحقيق الجودة في البحث النوعي؛ وهو مناقشة الصدق Argumentative validity؛ حيث يعد شكلاً من أشكال تحقيق الصدق، يتمثل في تقديم نتائج الدراسة بطريقة نهائية قابلة للاختبار، والتتبع، ويختم بالشكل الرابع من أشكال الصدق في البحوث النوعية الذي يدعى بالصدق البيئي (الصدق السياقي) Ecological Validity الذي تكون فيه نتائج الدراسة النوعية صالحة حينما تُجرى في البيئة الطبيعية للظاهرة، والسياق الطبيعي للمشاركين، وباستخدام الطرق المناسبة لجمع البيانات، وأخذ ظروف وحياة المبحوثين بعين الاعتبار، حتى تُحقق الدراسة أهدافها، وتُثمر في الاستفادة من بيانات المشاركين قدر المستطاع.

وتقابل ذلك سبل لتحقيق الثبات في البحوث النوعية؛ فعلى سبيل المثال: ما اقترحه فليك (Flick, 1998, p231-232). فقد رأى بأنّ الثبات النوعي يتحقق من خلال تحقيق الإجراءات التالية:

- مراجعة الرفاق ومناقشتهم Peer Review or deliberating
 - تحليل الحالات السلبية Analysis of Negative Case
 - مراجعة المصطلحات المناسبة عند تفسير النتائج والتأكد من دلالاتها. Checking inappropriate terms
 - تدقيق المشاركين الأصليين في البحث لتحقيق الصدق التواصلي. Member Checks
 - التدقيق الخارجي External Auditing.
 - ويضيف درو وهاردمان وهارت (Drew, Hardman, & Hart, 1996, p. 169) إلى ما اقترحه فليك مجموعة أخرى؛ تتمثل في التالي:
 - خفض مستوى الوصف الاستدلالي Use low inference descriptor
 - تعدد الباحثين قدر المستطاع Multiple researchers as possible
 - إنشاء سجل التدقيق، ليشتمل مثلاً التسجيلات الصوتية؛ للتحقق منها، ومراجعتها أثناء التحليل، والتفسير Create audit trail.
 - استخدام أدوات تسجيل مهنية، وعملية؛ لتدوين البيانات، والحصول على التصريح باستخدامها Use mechanical recording devices
 - استخدام الباحثين كمشاركين ليتأكدوا بدقة من تصورات ووجهات نظر المشاركين Use participant researchers to check of the accuracy of perceptions
- إنّ ما ورد أعلاه من طرق لتحقيق الموثوقية في البحوث النوعية يعد مؤشرات وإستراتيجيات تفصيلية؛ لتحقيق الجودة في الدراسات النوعية؛ وهذا جزء من المنشود في هذه المقالة، لكن تجدر الإشارة إلى أنّ بعض العلماء حاول تصنيف هذه المؤشرات والإستراتيجيات تحت مظلة عامة، تُجمل تحتها مجموعة من المعايير، والإستراتيجيات.

فمنذ التسعينات اهتم لنكولن وجوبا (Lincoln & Guba, 1985) بمحاولة تحديد وتطوير معايير للبحوث النوعية؛ لترادف وتقابل مظاهر الصدق والثبات في البحوث الكمية، وقد نجحا وغيرهما من العلماء؛ أمثال: أري، يعقوب، سورينسن، رازافيه، وكرفتنق وشينتون (Ary, Jacobs, Sorensen, & Razavieh, 2010; Krefting, 1991; Shenton, 2004) في تحديد أربعة معايير رئيسة لتحقيق الموثوقية في البحوث النوعية (Trustworthiness)، والتي من خلالها تتحقق جودة البحوث النوعية؛ وهي: المصدقية Credibility التي تقابل الصدق الداخلي في البحوث الكمية، وقابلية النقل/ التعميم Transferability الذي يقابل الصدق الخارجي، أو التعميم، والاعتمادية Dependability التي ترادف مفهوم الثبات، والتأكدية Confirmability التي تقابل مفهوم الموضوعية الموضحة في الجدول (٥) المضمن بملاحق الدراسة.

فيعرف بريمان (Bryman, 2016, p. 697) الموثوقية Trustworthiness بأنها مجموعة المعايير التي يدعو إليها الكُتّاب، والباحثون؛ لتقييم جودة البحوث النوعية.

جدول (٢): مقارنة بين معايير الجودة في المدخلين النوعي والكمي

المعيار	البحوث النوعية (الطبيعية)	البحوث الكمية (العلمية)
صحة القيم Truth Value	المصدقية Credibility	الصدق الداخلي Internal Validity
التطبيق Applicability	قابلية النقل/ التعميم Transferability	الصدق الخارجي/ التعميم External Validity
الثبات Consistency	الاعتمادية Dependability	الثبات Reliability
الحيادية (عدم التحيز) Neutrality	التأكدية Confirmability	الموضوعية Objectivity

المصدر: Krefting, 1991, p.217.

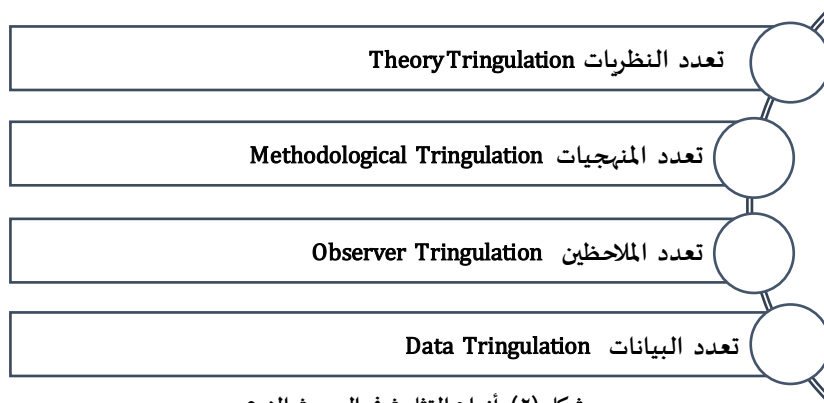
المصدقية Credibility

يعرف ليثمان (Lichtman, 2013) مصطلح المصدقية أو تقدير الحقيقة بأنه تقييم نتائج الدراسة من خلال وجهات نظر المشاركين، وتعبير الباحث عن العلاقة بين ما عبر عنه المشاركون اجتماعياً، والطريقة التي صور بها الباحث وجهات نظرهم، وأظهرها للجمهور في صورة نهائية، وقد تتحقق المصدقية في البحوث النوعية بعدة طرق، وإستراتيجيات، من أبرزها: التثليث أو التعددية Triangulation، أو الملاحظات المستمرة، أو مراجعة الأقران، أو تحليل الحالات السلبية، أو التعايش المطول.

التثليث / التعددية Triangulation

التعددية أو التثليث من مظاهر تحقق المصدقية في البحوث النوعية، والذي يشير إلى تطبيق أكثر من طريقة بحثية لدراسة الظاهرة الواحدة، أو من خلال الجمع بين العديد من الباحثين، واستخدام أكثر من نظرية لتفسير النتائج، وبالتالي هو الجمع بين المصادر المتعددة؛ للتحقق من الفهم الناتج من البيانات بصورة دقيقة.

فيعرف دينزن (Denzin, 1978) التثليث أو التعددية بأنه مصطلح مستورد من العلوم الملاحية والمسح الجيولوجي للأراضي يشير إلى استخدام مصدرين أو أكثر لتحقيق الصورة الشاملة من نقطة مرجعية محددة. ويقترح أربعة مظاهر لتحقيق التثليث في البحوث النوعية مجملها موضح في الشكل (٢):



شكل (٢): أنواع التثليث في البحوث النوعية

ومن المهم الإشارة إلى أن استخدام هذه الأساليب لتحقيق المصدقية لا يعني بأي حال من الأحوال وجوب تطابق البيانات المنتجة من التنوع، ولكن البحث عن الاتساق الذي يجمع بين هذه الأساليب يعد المحور الرئيس؛ حيث من الطبيعي أن تؤدي الأنواع المتنوعة من البيانات أدوارًا مختلفة، تقود إلى نتائج مختلفة إلى حد ما، ولكن الدور الأبرز هو فهم هذه التناقضات، وتوظيفها لخدمة الظاهرة المدروسة، بحيث لا ينظر لها كتعارض بين النتائج؛ بل تكامل بيها؛ فالمعاني تعرف أحيانًا بأضدادها، مما يمنح الباحث الفرصة في التأمل والاكتشاف المتعمق للظاهرة المدروسة.

وقد يُعزى سبب استخدام هذا المصطلح (التعددية أو التثليث) كإستراتيجية لتحقيق الجودة في البحوث النوعية؛ لأمرين أوردهما باتون (Patton, 1999, p. 1192) وهما: أن المصطلح مقتبس من المسح الجيولوجي في علم الأرض؛ حيث إنه بالرغم من القدرة على تحديد المكان من خلال تحديد نقطة واحدة، إلا أن تحديد نقطتين وأكثر يسهم في دقة التحديد، وربما يظهر هذا في العصر الحديث بشكل واضح فيما يسمى بالتقنية الثلاثية الأبعاد، التي تجعل الأمر أكثر وضوحاً ودقة عند تحديد أكثر من نقطة.

ووفقاً لهذه الرؤية فإنه يعتمد على القطعية في التحديد التي قد لا تتلائم مع طرق الوصول للواقع والحقيقة والمعرفة في البحوث النوعية، فالتثليث باستراتيجياته يهدف لتقارب النتائج ودعم بعضها ببعض ليعطي مصداقية في البحث النوعي دون الجزم بذلك. ومن جهة أخرى، قد يكون للمصطلح دلالات مجازية أخرى؛ كالتعبير عن القوة، والمتانة؛ حيث يشير إلى الشكل الهندسي المعروف بالمثلث، الذي ظهر كرمز لمتانة التصميم الهندسي في نماذج القبة العظيمة هيكلياً، والمسماة Geodesic dome التي صممها وألذر وبوريسفيلد Walther Bauersfeld كبير المهندسين في شركة كارل زايس Carl Zeiss المبنية بعد الحرب العالمية الأولى.

وفي سياق البحث النوعي؛ فإن دلالة استخدام التعددية أو التثليث تقوم على مبدأ فلسفي، يرى أن التفسير الوحيد قد لا يسهم في حل المشكلة بشكل كافٍ؛ وبالتالي فإن تعدد الطرق قد يسهم في بيان جوانب الظاهرة؛ سواء في جمع البيانات، أو تحليلها، أو تفسيرها؛ لتسهم في تقديم حلول متكاملة للمشكلة، وبالرغم من جدواه في تحقيق المصداقية، إلا أنه مكلف على الباحث ذي الميزانية المحدودة، وذي الوقت القصير لإنجاز البحث؛ فالمنح بين أكثر من أداة بحثية يتطلب جهداً في الإعداد، والتنفيذ الميداني، والتحليل، والتفسير لها.

لذا يعتمد استخدام طريقة التعدد أو التثليث لإستراتيجيات متعددة؛ فيشير دنزن (Denzin, 1978) إلى مجموعة منها؛ وهي: تعدد الأدوات، التي قسمها إلى قسمين رئيسين؛ هما: تعدد الأدوات الداخلي Within-method triangulation والتعدد بين الأدوات Between method triangulation؛ فالأولى يعني الاستخدام المتعدد للأداة الواحدة لاكتشاف المشكلة البحثية ذاتها؛ كالجمع بين الأسئلة المغلقة والمفتوحة في ذات الأداة الواحدة، وهي الأقل شيوعاً في البحوث النوعية، بينما الثاني يشير إلى استخدام أكثر من أداة بحثية لجمع البيانات حول الظاهرة الواحدة، والتي يسميها بريمان Bryman أدوات البحث المتناقضة "Contrasting research methods".

ويرى هارفي وماكدونالد (Harvey and MacDonald, 1993) أن تعدد الأدوات قد يتمثل في ثلاثة مظاهر؛ هي: أن يقوم باحثان أو أكثر باستخدام نفس الأداة البحثية، أو أن يقوم الباحث نفسه باستخدام أدوات، أو أكثر، أو أن يستخدم باحثان أو أكثر، أدوات، أو أكثر؛ للتحقق من البيانات. كما إن من طرق تحقيق التعددية/التثليث تعدد المصادر التي تجمع منها البيانات، بحيث تجمع البيانات من خلال عينات مختلفة، وبإستراتيجيات متعددة لجمع البيانات؛ كتنوع أوقات جمع البيانات، واختلاف السياقات التي تجمع بها، وتغير الأشخاص الذين تجمع البيانات منهم، كما أن تعدد الباحثين والمحللين من أساليب تحقيق التعددية؛ بحيث يعتمد بشكل كبير على الباحث في تفسير البيانات، وإنتاج المعرفة من المشاركين، وتقديمها في صورة تصورات عامة للجمهور؛ لذا هناك حاجة لتعدد الباحثين، والمحللين؛ للوصول إلى المصداقية في التفسيرات الناتجة من المشاركين، بحيث يستخدم الباحثون ذات الأساليب والإجراءات المتبعة في جمع البيانات، وتفسيرها، وتحليلها. ومن الأساليب أيضاً لتحقيق مبدأ التثليث العوامل البيئية المتعددة، بحيث يسعى الباحث لتغيير الأوقات، والأزمنة، والأماكن، والفصول التي تجمع منها البيانات؛ ليحقق مبدأ المصداقية.

كما أن من سبل تحقيق التعددية تعدد النظريات التي تفسر البيانات، أو ما يسمى بتعدد المناهج Methodological pluralism. حيث يجمع الباحث بين عدة نظريات مختلفة؛ لتفسير الظاهرة المدروسة؛ مثل النظرية المعرفية، أو البنائية الاجتماعية الثقافية؛ لتحقيق مبادئ المصداقية في البحث النوعي.

قابلية النقل / التعميم Transferability

إن قابلية نقل نتائج الدراسات النوعية مصطلح يقابله تعميم النتائج في البحوث الكمية، أو ما يسمى بالصدق الخارجي External Validity (Seale, 1999).

وقد أثير الكثير من الجدل حول عدم مقدرة البحوث النوعية على تعميم نتائجها مقارنة بالدراسات الكمية التي تهدف لها بشكل رئيس. وقد يعزى هذا إلى النزعة التأثيرية للفلسفة العلمية، أو مابعد العلمية في اكتشاف قوانين الظواهر، وصناعة القوالب الموحدة، ثم التعميم؛ سواء الكلي، أو الجزئي، مما قاد إلى التشكيك في مقدرة نتائج البحث النوعي، والتقليل من أهميتها فترة من الزمن، والذي يهتم في أصله بالتركيز على السياق في دراسة المجتمعات، كما يتضح ذلك بشكل بارز في البحوث الاثنوجرافية، دون السعي للتعميم.

ويعرف ماكسويل (Maxwell, 1992) قابلية نقل نتائج البحث النوعي Transferability، أو التعميم النوعي - إن صح التعبير - بأنه: وجود مستويات متعددة من المعاني المنتجة من العينة النوعية، وقابلية هذه النتائج لتوسيعها على أفراد من المجتمع، أو الإشارة إلى الاسترشاد بها في سياقات أوسع؛ كنتائج دراسة لاكتشاف تصورات المعلمين في محافظة ما، بمرحلة ما، حول تدريس الفلسفة، فإن قابلية النقل لما توصلت إليه الدراسة من نتائج، قد يسترشد به دون قطع حين تطبيق ذلك على عينة مختلفة، في سياق آخر، بمرحلة مختلفة، وبمحافظة أخرى.

ويقدم لينكولن وجوبا (Lincoln & Guba, 1985, p. 8) وصفاً لقابلية النقل بأنها "درجة التشابه بين الموقف الأصلي، والموقف المنقول إليه". فعلى سبيل المثال؛ فإن التشابه في سياقات نظام التعليم الحالي في المملكة العربية السعودية من حيث التنظيم المؤسسي، والدرجات العلمية للأعضاء، وأعمار المتعلمين، والمقررات الموحدة... إلخ؛ قد يساعد على نقل نتائج الدراسات النوعية في سياقات مشابهة بينها.

ويعرف أيضاً بلور وود (Bloor & Wood, 2006, p. 93) مصطلح قابلية نقل نتائج الدراسة النوعية بأنه: مدى إمكانية تطبيق نتائج الدراسة على المجتمع العام، بحيث يحقق الاستفادة من تلك النتائج، واستخدامها في المواقف والسياقات المشابهة. ويتضح من هذا التعريف بأن هناك نزعة للتعميم، وقد يعزى هذا إلى تخصص المؤلفين اللذين يعمل أحدهما في العلوم الطبية في جامعة جلاسكو، والآخر في الطب الاجتماعي بجامعة كاردف البريطانية، والذي قد تغلب عليه الفلسفة العلمية في دراسة الظواهر.

ولكن بادجت (Padgett, 2011) يبين ويحدد بأن هذا التعميم يختلف عن المعمول به في البحوث الكمية، والذي يعتمد على تعميم نتائج العينة على المجتمع الكلي المثلة له، بينما يقتصر التعميم النوعي على إظهار نتائج الدراسة في صورة أدلة وإرشادات، قابلة للتطبيق في مواقف وسياقات مشابهة في المجتمع.

ويرى دانموير (Donmoyer, 1990)، ودينزن (Denzin, 1983) أن تحقيق الصدق الخارجي (التعميم) ليس ذي أولوية مهمة في البحث النوعي، بقدر التركيز على الفهم العميق والشامل للمعاني حول الظاهرة المدروسة، ووصفها وصفاً دقيقاً شاملاً تقريباً. ويدعم ذلك ما أورده كرونباخ (Cronbach, 1975, p. 124) حينما ذكر بأن الظواهر الاجتماعية ذات سياقات محددة، يصعب تعميم نتائجها.

ويضيف انديرسون وأرسناولت (Anderson & Arsenault, 2005) أن الهدف من تعميم نتائج الدراسة النوعية هو فهم الظروف المحددة التي قد تؤثر في مخرجات العملية البحثية النوعية، وبالتالي فإن تحقيقه يكون من خلال الوصف التفصيلي والشامل للطرق، والأساليب، والإجراءات، وسياق الدراسة؛ بحيث تسهل عملية نقل نتائجها إلى مواقف أخرى مشابهة.

ويصف هامبريرج، كيركمان، دي ليسي (Hammarberg, Kirkman, & de Lacey, 2016) الدراسة النوعية بأنها تستوفي شرط القابلية للنقل حينما تتوافق نتائجها مع سياق خارج موقف الدراسة؛ فعندما يدرك أفراد جدد بأن المعاني المنتجة ذات مدلولات صحيحة في حياتهم وتجاربهم الخاصة، فإن القابلية للنقل قد تحققت، ويورد في ذات السياق بأن القابلية تتحقق بواسطة إقرار القراء - الذين تتشابه ظروفهم وسياقاتهم مع تلك المخرجات - للنتائج.

وقد تتحقق قابلية النقل من خلال استخدام بعض الإستراتيجيات التي تسهم في جودة هذا المعيار في البحث النوعي؛ كالوصف العميق والشامل Thick Description، أو اختيار العينات المقصودة التي تحقق هدف البحث النوعي، أو ربط نتائج الدراسة بما ورد في الأدب البحثي السابق؛ فالوصف الشامل الثري هو الذي يزود القارئ بالمعلومات التامة حول السياق الذي حدثت فيه الدراسة، والمشاركين فيها، والتصميم البحثي، وإجراءات جمع البيانات؛ بحيث يتيح للقارئ الحكم على مدى قابلية النقل من عدمها للنتائج.

ويقترح قفن (Given, 2008) عاملين رئيسيين لزيادة مستوى قابلية النقل، على الباحث النوعي أخذهما بعين الاعتبار؛ وهما: مدى ارتباط المشاركين في البحث بسياق الدراسة، وملاءمتهم لها، وبلورة حدود سياقات النتائج التي قد تستخدم فيها؛ فالأول يتطلب أن تكون هناك صلة مباشرة فيما يُعمل على دراسته بين المشاركين، واختيار العينة التي تحقق أهداف الدراسة؛ فإن كان الهدف هو دراسة تصورات محاضري جامعة ما، حول الترقيات الوظيفية مثلاً؛ فينبغي أن تكون العينة ذات صلة مباشرة بذات المنصب والجامعة؛ حتى تتحقق الدقة المهنية. بينما المحور الثاني هو أن على الباحث أن يتحقق من فهم السياق الذي تُجرى فيه الدراسة، ووصفه للقارئ وصفاً دقيقاً حتى يجاب عن أسئلة الدراسة، ويمكن القارئ من معرفة الصلة بين السياق والمواقف التي قد تنقل النتائج إليها، وهذه تعد مهمة الباحث في مدى ضمان نقل النتائج لسياقات أكبر، ومواقف أوسع، بتوضيح تفاصيل السياق الذي أجرى فيه الدراسة.

الاعتمادية Dependability

إن من أبرز التحديات التي تواجه البحوث النوعية هو التغيير المستمر للسياق، والبيئة التي قد يجري فيها البحث؛ وبالتالي فإنه يقع على عاتق الباحث الفهم الجيد للسياق، من خلال القراءة المكثفة فيما يتعلق بالبيئة المستهدفة بالبحث، وإدراك المتغيرات المرتبطة بها؛ حتى يتمكن من الاندماج فيها حينما يقوم باكتشاف الظاهرة المدروسة، فالسياق البحثي للظاهرة الإنسانية متطور، ومتجدد، ونمائي، ومتغير؛ لذا عندما يدرك الباحث هذه الطبيعة، فإنه يأخذها بعين الاعتبار عند إعادة تطبيق الدراسة، فقد يتغلب على هذا التغيير المستمر بعدة طرق من أبرزها ما أشار إليه قيفن (Given, 2008): تتبع الفروق الدقيقة التي اختلفت عن السياق السابق في الدراسة، أو زيادة عدد المقابلات، أو تتبع الرموز والإيحاءات غير اللفظية بالبيانات في المحادثات، أو تحليل المستندات، أو زيادة ثبات الترميزات Codes، أو زيادة وقت البقاء في بيئة جمع البيانات لمدة أطول، أو تتبع عملية مراجعات التحقق، أو السماح لمراجع خارجي بمراجعة الملاحظات الميدانية للباحث، أو من خلال سجلات التدوين، وغيرها من الإجراءات التي بدورها تزيد من الشفافية والوضوح لمبدأ الاعتمادية في البحث النوعي.

ويرى لينكولن وجوبا (Lincoln & Guba, 1985) أنَّ هناك تداخلاً بين معايير الحكم على جودة البحث النوعي يدل على الترابط بين أجزائه؛ فالبحث النوعي يعبر عن وحدة واحدة، فقد تتداخل الإستراتيجيات لتعبر عن معيارين، فتحقيق الاعتمادية التي تشير إلى مدى تكرار النتائج عند إعادة الدراسة قد يتحقق من خلال أساليب التثليث / التعددية Triangulation، كتعدد الباحثين؛ لاكتشاف ذات الظاهرة، باتباع ذات الخطوات، والإجراءات الدقيقة التي اتبعها الباحث الأساسي.

ويتفق معه باكستر وإيلس (Baxter & Eyles, 1997, p. 512) في تعدد الباحثين، وتقييم الأقران، وتدقيق السجلات، واستخدام تقنيات مهنية لتسجيل البيانات، وتقليل التفسير الوصفي الذاتي للباحث لمعاني المشاركين.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ من أبرز العوامل المساعدة لتحقيق الاعتمادية تأثير الدراسة على النظرية أو الممارسات بشكل واسع، من خلال ترابط النتائج، والدقة في المعاني المنتجة التي يقصدها المشاركون في البحث؛ ولكي يتحقق هذا، فإنَّه ينبغي أن يتسم البحث بأساس علمي، يدعم التكرار، والإعادة؛ لينتج نفس النتائج، ومن هنا فقد تطلب الأمر لمعيار يتشابه مع مبدأ الثبات في البحث الكمي Reliability الذي يتطلب من الباحث وصف المنهج، والتصميم المستخدم، والأدوات التي تسهم في الوصول لنفس النتائج عند اتباع ذات الخطوات في ذات الدراسة.

مجمل القول، إنَّ تحليل البيانات النوعية يقوم في أصله على التكرار، والتشابه بين بيانات المشاركين؛ حتى تنتج الأنماط، والمعاني العامة؛ فتقديم التفاصيل الشاملة للفرائض التي تتعلق بالمنهج، والأدوات، وإجراءات الدراسة، وتتيح له مناسبة الإجراءات، وتقييم الممارسات التي انتجت تلك النتائج (Shenton, 2004). وهذا يتطلب من الباحث توضيح منهج البحث، والتصميم المستخدم، وطريقة تنفيذ البحث، وتفصيل العينة، وطرق اختيارها، وتوثيق الملاحظات الميدانية، والمقابلات، والمذكرات الذاتية، ومراجعة التأملات (Reflection)، وإيضاح المبررات لتلك الإجراءات السابقة والتي بدورها تحقق مبدأ الاعتمادية.

كما أنَّ الاعتمادية في البحث النوعي تقابل الثبات في البحوث الكمية؛ فيعرفها بلور وود (Bloor & Wood, 2006, p. 147) بأنَّها "مدى تكرار نفس نتائج البحث عند تطبيقه مرة أخرى في ذات السياق، والظروف".

بينما يرى مجموعة من المتخصصين أن الاعتمادية هي مدى الاتساق، وثبات نتائج الدراسة، في ضوء الطريقة التي توفَّق بها إجراءات البحث، مما يسمح لشخص خارجي بالبحث، ومتابعتها، ومراجعتها، ونقدها (Sandelowski, 1986; Streubert-Speziale, 2011).

وفي المقابل، يرى هامبريغ وكيركمان ودي ليسي (Hammarberg, Kirkman, & de Lacey, 2016) أنَّ الاعتمادية تدل على معنى مغاير لذلك المفهوم؛ بحيث تتحقق بالتناسق والاتساق بين البيانات نفسها، وهذا لا يعني بالضرورة أن تتكرر النتائج في سياقات أخرى، خصوصاً إن كان تصميم الدراسة فريداً، ومحددًا، لدرجة أنه لا يمكن تكراره لأي سبب من الأسباب؛ كتغير المشاركين، أو مواقفهم، أو غياب الظاهرة بالحل الجذري لها، فهنا سيكون التأثير محدودًا، وربما معدومًا، مما يؤثر على تكرار النتائج؛ كتقصي وجهات نظر أساتذة الجامعات حول نظام التقاعد، وبعد إنجاز الدراسة تغير نظام التقاعد إلى نظام آخر جديد؛ كالتأمينات الاجتماعية مثلاً، فهنا من الطبيعي أن تتباين النتائج، وتختلف، ويصعب التكرار؛ للتحقيق من الحالات السلبية في البيانات النوعية، التي قد تعيد النظر في مصداقية البيانات، ومساهمتهما في إعادة إنتاج أنماط وترميزات تكشف وتسبب الظاهرة، وهذا يحقق الباحث أو الباحثون المتعددون اكتشاف التباين في النتائج التي لا تندرج ضمن التفسيرات، أو ضمن الافتراضات النظرية التي تؤسس لإنتاج نظرية، وإعادة العمل عليها بشكل فعال.

التأكيدية Confirmability

يقابل مصطلح التأكيدية - والذي يعد المتغير الرابع من متغيرات تحقيق الجودة في البحوث النوعية - مصطلح الموضوعية في البحوث الكمية Objectivity الذي يربطه باتون (Patton, 1990) باستخدام الأدوات التي لا تعتمد على الإنسان، وتصوراته، ومهاراته للوصول للنتائج. وفي ضوء هذا المنظور حتى أدوات جمع البيانات في البحوث الكمية في العلوم الإنسانية قد يصعب عزل تأثير الباحث عنها خصوصاً الغير مباشر منها. فتحقيق الموضوعية في هذه الأدوات؛ كالاختبارات، والمقاييس، والاستبيانات المغلقة، وغيرها من الأدوات التي تتوافق مع البحوث الكمية تكون مصممة من العلماء، والباحثين وفقاً لخبراتهم المتراكمة، وتأثرهم بما يحملونه من افتراضات ونظريات ومعارف سابقة شكَّلت فكرهم، ورسمت ترابطات بين المتغيرات لديهم.

وفي المقابل؛ فإن التوكيدية في البحوث النوعية يراها باندي وباتنايك (Pandey & Patnaik, 2014, p. 5751) بأنَّها اتخاذ الباحث خطوات واضحة؛ لضمان مطابقة النتائج لمعاني المشاركين قدر الإمكان، بدلاً عن آراء وأفكار الباحث الذاتية، التي لا تستند إلى بيانات من المشاركين.

فالتأكيدية تهتم بمبدأ حيادية الأفكار، ومدى خلو البحث من التحيز الذاتي في الإجراءات البحثية، أو تفسير البيانات، أو استنتاج النتائج الختامية من تحليل البيانات (Ary, et al., 2010, p. 504).

وبناء على ذلك، فإنَّ هذه الخطوة تقلل من تحيزات وميول وجهات نظر الباحث في النتائج، ولتحقيق مبدأ التأكيدية في البحث النوعي، فإن على الباحث أن يثبت ارتباط النتائج بالاستنتاجات النهائية التي تحصل عليها من البيانات بطريقة قابلة للتتبع، والتحقق، والتكرار من غيره، وبيان جوانب القصور التي يوصي بأخذها بعين الاعتبار كتوصيات في البحث، وإبراز الدور الذي قام به بشكل واضح في الدراسة النوعية بمراحلها المختلفة.

وتستخدم عدة إستراتيجيات؛ لتحقيق ذلك المعيار، وزيادة نسبة الثقة في النتائج النوعية؛ باستخدام مصادر متعددة لجمع البيانات، وتعدد أنواع البيانات، أو أي مظهر من مظاهر التعددية التي أشير إليها سابقاً، كما يجب أن يتضمن تقرير البحث النهائي مبررات منطقية لاختيار المنهج المتبع، وتفضيله دون غيره من المناهج، وبيان جوانب القوة والضعف لاستخدم المنهج في تحقيق اكتشاف الظاهرة، وتبرير استخدام الأدوات، والإجراءات التفصيلية التي اتبعها الباحث؛ للوصول لنتائج الدراسة (Shenton, 2004).

ولتحقيق هذا المعيار في مناقشة النتائج، فإن الباحث يعرض الافتراضات الأولية التي ظهرت أثناء تكرار البيانات، ولكن لم تؤكّد لتنتج نظرية.

كما أن من الإستراتيجيات التي تسهم في إثراء هذا المعيار المراجعات التأملية المستمرة Reflective review.

إضافة إلى ذلك؛ فإنّ الوصف التفصيلي يجعل القارئ على دراية ومقدرة بتتبع البيانات، وتحديد كيفية بناء المعاني، والوصول للاستنتاجات خطوة بخطوة، في ضوء ما هو موضح في وصف الإجراءات من خلال عملية يقدمها الباحث تسمى بسجل التدقيق Audit Trail والذي قد يمثل في شكل تخطيطي؛ تسهياً للقارئ في تتبع العملية (Shenton, 2004, p. 72).

وبعد استعراض أبرز المعايير التي تحقق الجودة في البحوث النوعية؛ كالمصدقية، والانتقالية، والتأكيديّة، والاعتمادية، والعديد من الإستراتيجيات لتحقيقها، فإنّه من المفيد الإشارة لما اقترحه كيتو، تشسترز، جرابك (Kitto, Chesters, & Grbich, 2008) من معايير تُقيّم في ضوءها البحوث النوعية المقدمة للمجلة الأسترالية الطبية، حيث وضع ستة محاور أساسية، تؤخذ بعين الاعتبار عند الحكم على قبول نشر البحوث النوعية المقدمة للمجلة من عدمها؛ وهي: الوضوح والتبريرات المنطقية (Clarification and justification)، إجراءات الدقة (Procedural rigour)، التمثيل (Representativeness)، العناية بدقة التفسير (rigour Interpretative)، التأملية ودقة التقييم (Reflexivity & evaluative rigour)، قابلية النقل (Transferability)، وعبر عن كل محور بمجموعة من الأسئلة التي تقيم في ضوءها جودة البحث النوعي من عدمها، الموضحة في الجدول رقم (٣).

جدول (٣): معايير وأسئلة جودة البحوث النوعية

المعيار	الأسئلة
الوضوح والتبريرات المنطقية	- ما أهداف البحث؟ الوضوح
	- ما السؤال البحثي / الأسئلة البحثية؟ التبريرات
إجراءات الدقة	- لم يعد المنهج النوعي الخيار الأفضل للإجابة عن هذا السؤال؟ هل وثقت إجراءات وطرق جمع البيانات بوضوح؟ هل أشكال تحليل البيانات شفافة تماماً؟
	- لم اختر تصميم البحث النوعي الحالي دون غيره؟
التمثيل	ما الإجراءات المتخذة لاختيار العينات التي تجيب عن سؤال البحث؟ ما إجراءات اختيار العينات التي تدعم التعميم المفاهيمي؟
دقة التفسير	- هل تعمق في مناقشة النتائج، وربطها بالنظريات، أو طور نظرية جديدة، ووصف علاقتها بالنتائج السابقة ذات العلاقة المجتمع؟ - هل تضمنت البيانات أي حالات سلبية وهل نوقشت؟
التأملية ودقة التقييم	- هل الدور الذي قام به الباحث واضحاً في البحث؟ - هل قُيم دور الباحث والمشاركين في البحث بشكل صريح؟ - هل نوقشت الاعتبارات الأخلاقية في البحث بشكل صريح؟ - هل هناك موافقات أخلاقية من المؤسسات أو المشاركين ذواتهم أو من يعولهم؟
قابلية النقل (التعميم)	- هل ضُمن التقييم النقدي لتطبيق نتائج الدراسة في سياقات مشابهة؟ - هل ناقش البحث الحالي علاقة نتائج الدراسة بالمعرفة الحالية، والسياسات، والممارسات التطبيقية؟

المصدر: (Kitto, Chesters, & Grbich, 2008, p. 244)

الخاتمة:

إنّ الاهتمام المتزايد بالبحوث النوعية، ودورها المحوري في فهم الظواهر الاجتماعية والتربوية بشكل طبيعي، ساهم في تطوير وتحديث معايير تقييم جودة هذه البحوث العلمية، بما يسهم في رفع مستوى قوتها، وتوثيق إجراءات تطبيقها، فبالرغم من تباين وجهات النظر في تبني معايير للنزاهة والشفافية والحكم على جودة هذه البحوث؛ لتنوع وتعدد تصاميمها، وطرق إجراءاتها، وتباين السبل التي تحققها، إلا أنّ الوصول لمشاركات تجمعها فيما بينها ساعد في وضع معايير تقييم الجودة للبحوث النوعية، فتحقيق مبادئ الموثوقية في البحث النوعي؛ كالمصدقية، والاعتمادية، وقابلية النقل، والتأكيديّة التي قدمها لينكولن وجوبا (ملحق ٢، ص ٢٩)؛ تعد كمحاور رئيسة لضمان جودة وصلاحيّة البحث النوعي، يندرج تحتها العديد من الأساليب والإستراتيجيات التي تحقق في مجملها تلك المعايير العامة.

References:

- [1] Ali, A. M., & Yusof, H. (2011). "Quality in qualitative studies: The case of validity, reliability and generalizability". *Issues in Social and Environmental Accounting*, 5(1-2): 25-64, <https://doi.org/10.22164/isea.v5i1.59>.
- [2] Altheide, D. L., & Johnson, J. M. (1994). "Criteria for assessing interpretive validity in qualitative research". In N. Denzin, & Y. Lincoln., *Handbook of qualitative research* (pp. 485-499). Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- [3] Anderson, G., & Arsenault, N. (2005). *Fundamentals of educational research*. London: Falmer Press.
- [4] Ary, D., Jacobs, L. C., Sorensen, C., & Razavieh, A. (2010). *Introduction to research in education*. USA: Wadsworth Cengage Learning.
- [5] Baxter, J., & Eyles, J. (1997). "Evaluating qualitative research in social geography: establishing rigor in interview analysis". *Transactions of the Institute of British Geographers*, 22(4): 505-525, <https://doi.org/10.1111/j.0020-2754.1997.00505.x>.
- [6] Bloor, M., & Wood, F. (2006). *Keywords in qualitative methods: A vocabulary of research concepts*. London: Sage Publications.
- [7] Brown, P. (2003). "Qualitative methods in environmental health research". *Environmental Health Perspectives*, 111(14): 1789-1798, <https://doi.org/10.1289/ehp.6196>.
- [8] Bryman, A. (2016). *Social research methods*. Oxford: Oxford University Press.
- [9] Campbell, D.T. (1975). "Degrees of freedom and the case study". *Comparative Political Studies*, 8(2): 178-193.
- [10] Cohen, L., Manion, L., & Morrison, K. (2018). *Research methods in education*. New York: Routledge.
- [11] Creswell, J. (2007). "Qualitative in-quiry and research design: Choosing among five traditions". Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- [12] Creswell, J. W. (2014). *A concise introduction to mixed methods research*. London: Sage Publications.
- [13] Creswell, J. W., & Plano Clark, V. L. (2011). *Designing and conducting mixed methods research*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- [14] Cronbach, L. J. (1975). "Beyond the two disciplines of scientific psychology". *American psychologist*, 30(2): 116-127, <https://doi.org/10.1037/h0076829>.
- [15] Crotty, M. (2015). "The foundations of social research: Meaning and perspective in the research process". London: Sage Publications.
- [16] Denzin, N. (1978). *Sociological methods: A sourcebook*. New York: McGraw Hill.
- [17] Denzin, N. (1983). *Interpretive Interactionism*. In G. Morgan, *Beyond method: Strategies for Social Research* (pp. 129-146). London: Sage Publication / Beverly Hills.
- [18] Denzin, N., & Lincoln, Y. (2011). "The Sage handbook of qualitative research". London: Sage Publications.
- [19] Donmoyer, R. (1990). *Generalizability and the single-case study*. In E. W. Eisner, & P. A., *Qualitative inquiry in education: The continuing debate* (pp. 175-200). New York: Teachers College Press.
- [20] Drew, C. J., Hardman, M. L., & Hart, A. W. (1996). "Designing and conducting research: Inquiry in education and social science". London: Allyn & Bacon.
- [21] Flick, U. (1998). *An introduction to qualitative research*. London: Sage Publications.
- [22] Flick, U. (2009). *An introduction to qualitative research*. London: Sage Publications.
- [23] Flick, U. (2018). *Designing qualitative research*. London: Sage Publications.
- [24] Frambach, J. M., van der Vleuten, C. P., & Durning, S. J. (2013). "AM last page: Quality criteria in qualitative and quantitative research". *Academic Medicine*, 88(4): 552.
- [25] Given, L. M. (2008). "The SAGE encyclopedia of qualitative research methods". Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- [26] Guba, E. (1990). *The Paradigm Dialog*. London: Sage Publications.
- [27] Guba, E., & Lincoln, Y. (1994). "Do inquiry paradigms imply methodologies?" In D. Fetterman, *Qualitative approaches to evaluation in education* (pp. 89-115). New Yor: Praeger.
- [28] Hammarberg, K., Kirkman, M., & de Lacey, S. (2016). "Qualitative research methods: when to use them and how to judge them". *Human reproduction*, 31(3): 498-501, <https://doi.org/10.1093/humrep/dev334>.
- [29] Hammersley, M. (2005). "Assessing quality in qualitative research". *ESRC TLRP seminar series: Quality in educational research*, 103-113.

- [30] Hammersley, Martyn (2013). "What is Qualitative Research? What Is? Research Methods". London: Continuum/Bloomsbury.
- [31] Harvey, L.; MacDonald, M. (1993). Doing Sociology: A Practical Introduction. London: Macmillan International Higher Education
- [32] Henn, M., Weinstein, M., & Foard, N. (2005). A short introduction to social research. London: Sage Publications.
- [33] Kitto, S. C., Chesters, J., & Grbich, C. (2008). "Quality in qualitative research: criteria for authors and assessors in the submission and assessment of qualitative research articles". *Medical Journal of Australia*, 188(4): 243-246.
- [34] Kneller, G. F. (1971). Introduction to Philosophy of Education. Hoboken, N.J: John Wiley & Sons, Inc.
- [35] Köckeis-Stangl, E. (1980). Methoden der Sozialisationsforschung. In K. Hurrelmann, & D. Ulich, *Handbuch der Sozialisationsforschung* (pp. 321-369).
- [36] Krefting, L. (1991). "Rigor in qualitative research: The assessment of trustworthiness". *The American Journal of Occupational Therapy*, 45(3): 214-222, <https://doi.org/10.5014/ajot.45.3.214>.
- [37] Lichtman, M. (2013). "Qualitative research in education: A user's guide: A user's guide". London: Sage Publications.
- [38] Lincoln, Y. S., & Guba, E. A. (1985). Naturalistic inquiry. Beverly Hills, CA: Sage Publications.
- [39] Mackey, A., & Gass, S. M. (2016). Second language research: Methodology and design. New York: Routledge.
- [40] Marczyk, G., DeMatteo, D., & Festinger, D. (2005). Essentials of research design and methodology. John Wiley & Sons Inc. Hoboken, N.J: John Wiley & Sons Inc.
- [41] Maxwell, J. (1992). "Understanding and validity in qualitative research". *Harvard educational review*, 62(3): 279-301, <https://doi.org/10.17763/haer.62.3.8323320856251826>.
- [42] Merriam, S. (2009). Qualitative research: A guide to design and implementation. San Francisco, CA: Jossey Bass.
- [43] Newman, I., & Benz, C. R. (1998). "Qualitative-quantitative research methodology: Exploring the interactive continuum". Carbondale: University of Illinois Press.
- [44] Padgett, D. K. (2011). "Qualitative and mixed methods in public health". London: Sage Publications.
- [45] Pandey, S. C., & Patnaik, S. (2014). "Establishing reliability and validity in qualitative inquiry: A critical examination". *Jharkhand journal of development and management studies*, 12(1): 5743-5753.
- [46] Parkinson, G., & Drislane, R. (2011). "Qualitative research. In Online dictionary of the social sciences". Retrieved from <http://bitbucket.icaap.org/dict.pl>
- [47] Patton, M. Q. (1990). Qualitative evaluation and research methods. Newbury: Sage Publications.
- [48] Patton, M. Q. (1999). "Enhancing the quality and credibility of qualitative analysis". *Health services research*, 34(5): 1189-1209.
- [49] Polkinghorne, D. E. (2007). "Validity issues in narrative research". *Qualitative inquiry*, 13(4): 471-486, <https://doi.org/10.1177/1077800406297670>.
- [50] Pring, R. (2015). Philosophy of educational research. London: Sage Publications.
- [51] Reid, A. & Cough, S. (2000). "Guidelines for reporting and evaluating qualitative research: what are the alternative?" *Environmental Education Research*, 6(1): 59-91, <https://doi.org/10.1080/135046200110494>.
- [52] Ritchie, J., Lewis, J., Nicholls, C. M., & Ormston, R. (2014). "Qualitative research practice: A guide for social science students and researchers". London: Sage Publications.
- [53] Sandelowski, M. (1986). "The problem of rigor in qualitative research". *Advances in Nursing Science*, 8(3): 27-37, <https://doi.org/10.1097/00012272-198604000-00005>.
- [54] Sarantakos, S. (2012). Social research. New York: Macmillan International Higher Education.
- [55] Schwandt, T. (2000). "Three epistemological stances for qualitative inquiry: Interpretation, hermeneutics, and social construction". In N. K. Denzin., & Y. S. Lincoln., *Handbook of qualitative research* (pp. 189-213). Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- [56] Seale, C. (1999). "Quality in qualitative research". *Qualitative inquiry*, 5(4), 465-478.
- [57] Shenton, A. K. (2004). "Strategies for ensuring trustworthiness in qualitative research projects". *Education for Information*, 22(2): 63-75, <https://doi.org/10.3233/efi-2004-22201>.
- [58] Silverman, D. (2013). Doing qualitative research: A practical handbook. London: Sage Publications.
- [59] Smith, K. (1984). "The problem of criteria for judging interpretive inquiry". *Educational Evaluation and Policy Analysis*, 6(4): 379-391, <https://doi.org/10.3102/01623737006004379>.

- [60] Strauss, A., & Corbin, J. (1998). "Basics of qualitative research: Techniques and procedures for developing grounded theory". London: Sage Publications.
- [61] Streubert-Speziale, H. J. (2011). "Designing data generation and management strategies". In S. H. S., H. J. Streubert, & D. R. Carpenter, *Qualitative research in nursing: Advancing the humanistic imperative* (pp. 33-55). New York: Lippincott Williams & Wilkins.
- [62] Volmerg, U. (1983). "Validität im interpretativen paradigma. Dargestellt an der Konstruktion qualitativer Erhebungsverfahren". In P. Zedler, & H. Moser., *Aspekte qualitativer Sozialforschung* (pp. 124-143). Opladen: Leske and Budrich.
- [63] Wagner, C., Kawulich, B., & Garner, M. (2012). "Doing social research: A global context". London: McGraw-Hill Higher Education.
- [64] Wellington, J. (2015). "Educational research: Contemporary issues and practical approaches". London: Bloomsbury Publishing.
- [65] Willis, J. W., Jost, M., & Nilakanta, R. (2007). "Foundations of qualitative research: Interpretive and critical approaches". London: Sage Publications.



Criteria to evaluate the quality of qualitative research in social science

Mohammed Abdullah A. Alzahrani

Faculty of Education, Department of Curricula and Instructions, University of Bisha, KSA
University of Exeter, Graduate of School of Education, United Kingdom
alahmadim2010@gmail.com

Received : 23/4/2020 Revised : 4/5/2020 Accepted : 14/5/2020 DOI : <https://doi.org/10.31559/EPS2020.8.3.4>

Abstract: The current research aims to introduce criteria for evaluating qualitative research in social sciences research. The qualitative research was established in light of interpretivism viewpoint which has a different view from positivism or post-positivism worldviews. Both latter viewpoints believe that social phenomena have a degree of stability and discovering the rules and correlations between variables can lead to understanding the social phenomena. Based on that view, the quality of quantitative research is carried out through validity and reliability procedures. On the other hand, qualitative research supposed that meaning is forming from participants themselves. The constructivist view can adopt new quality criteria for qualitative research. Therefore, this research attempts to shed light on the quality standards for qualitative research in a simple form to assist researchers while carrying out qualitative research in social research.

Keywords: *Qualitative Research; Trustworthiness; Social Science; Evaluate.*

ملحق رقم (١)

جدول (٤): قائمة لتقييم جودة البحوث النوعية					
التقييم					العبارة
٥	٤	٣	٢	١	
المصدقية Credibility					
					هل هدف الدراسة واضح؟
					هل وُصف المنهج؟
					هل وُصفت إجراءات جمع البيانات؟
					هل وُضحت تبريرات استخدام التصميم المتبع في البحث؟
					هل المنهج متوافق مع أهداف البحث؟
					هل الأدوات متوافقة ومتناسبة مع أهداف البحث؟
					هل وُصفت كيفية تسجيل البيانات (إلكترونيًا، مذكرات، فيديو...)?
					هل أُستخدمت إستراتيجيات التعداد/ التنوع؟
					هل وُصفت عمليات البحث بشكل دقيق وتفصيلي قابل للتتبع والتحقق؟
قابلية التعميم / النقل Transferability					
					هل وُصفت المعلومات والبيانات ومصادر الحصول عليها وصفاً يتيح التتبع لها؟
					هل تضمن البحث وصف المشاركين بشكل واضح؟
					هل وُصفت النتائج وصفاً دقيقاً يرتبط بالبيانات مباشرة؟
					هل تضمنت النتائج اقتباسات منطقية تدعم الاستنتاجات من البيانات؟
					هل هناك تناقض أو تضاد في البيانات والاستنتاجات المتوصل إليها؟
التأكيدية / التحقيقية Confirmability					
					هل قام الباحث بوصف الخبرات السابقة والخلفيات النظرية له، أو الفهم الميدني حول الظاهرة؟
					هل توصل البحث إلى نظرية أو افتراضات قد تشكل نظرية؟
					هل وُصفت كيفية الترميز واستخراج الأنماط بشكل واضح يسهل عملية التكرار؟
					هل وُصف القائمون بالدراسة ودورهم فيها؟
					هل وُصفت كيفية مشاركة الباحث مع المشاركين أثناء عملية التحليل؟
					هل وصف الباحث موقفه من النتائج؟
المجموع					
القرار النهائي حول مدى جودة البحث					
=١ غير محقق تمامًا. =٥ حقق المعيار بدرجة واضحة.					

ملحق رقم (٢)

مصطلحات في بحوث النوعية

المصطلح	العبارة
مصطلح يعني التأمل باهتمام حول المنهج والمواقف والسياق والنتائج وأدوات جمع البيانات وتأثيرات الباحث على عمليات البحث في جميع مراحلها بهدف اكتشاف ومعالجة تلك العوامل التي تؤدي إلى جودة البحث.	التأملية / الانعكاسية Reflexivity
مجموعة من المعايير التي تقيم جودة البحوث النوعية.	الموثوقية Trustworthiness
مصطلح يستخدم في البحث النوعي للدلالة حيادية نتائج الدراسة من الميول والآراء الشخصية والتحيزات الذاتية للباحث، في تفسير نتائج الدراسة واستنتاجاتها دون سند في بيانات المشاركين.	التأكيدية / إمكانية التثبّت Confirmability
مصطلح يستخدم في البحث النوعي للدلالة على التأكد من أن ما قدمه الباحث من بيانات حول الظاهرة المدروسة تام وكامل قدر المستطاع، ويقابل مصطلح الصدق الداخلي في البحث الكمي.	المصدقية Credibility
مصطلح يستخدم في البحث النوعي للدلالة على إمكانية نقل نتائج الدراسة من سياق إلى آخر. أو مدى القدرة على نقل النتائج والاستفادة من في الاسترشاد في سياقات مشابهة.	قابلية النقل / التعميم Transferability
مصطلح يهدف إلى التأكد من التفسيرات المنتجة من البيانات وارتباطها بالمشاركين وما يعنونها.	الاعتمادية / اتساق النتائج Dependability
تعدد المصادر التي تجمع منها البيانات، والأساليب، والنظريات المفسرة للنتائج،	التثليث Triangulation

والباحثين، والبيانات والأزمة التي تجمع بها البيانات.	
كما أن الوصف التفصيلي الذي يجعل القارئ على دراية ومقدرة بتتبع البيانات، وتحديد كيفية بناء المعاني، والوصول للاستنتاجات خطوة بخطوة، وفقاً لما هو موضح في وصف الإجراءات من خلال عملية يقدمها الباحث.	سجل التدقيق Audit Trail
مصطلح قدمه جيرتز Geertz لتزود القارئ بالمعلومات التامة الشاملة حول السياق التي حدثت في الدراسة، أو المشاركين فيها، والتصميم البحثي، الإجراءات التي حدثت فيها جمع البيانات بحيث يتيح للقارئ الحكم على مدى قابلية النقل من عدمها للنتائج.	الوصف المستفيض / المكثف Thick Description

ملحق رقم (٣)

معايير الجودة في البحوث الكمية والنوعية

طرق تحقيق جودة البحث النوعي	معايير جودة البحث النوعي	مظاهر المقارنة	معايير الجودة بالبحث الكمي	طرق تحقيق جودة البحث الكمي
التعددية (تعدد المصادر، الأدوات، الباحثين، النظريات) جمع البيانات عبر فترة زمنية طويلة. سؤال عن التغذية الراجعة من المشاركين أو الأعضاء	المصداقية Credibility ويشير إلى مدى موثوقية نتائج الدراسة ومصداقيتها عند الآخرين	صحة القيم Truth Value	الصدق الداخلي Internal Validity ويقصد به إلى أي مدى تعزى نتيجة التأثير للمتغير المستقل	حساب حجم العينة الممثلة للمجتمع، وصف إجراءات الدراسة، توحيد وضبط إجراءات تطبيق الدراسة، استخدام مجموعات ضابطة لضبط التصميم،
الوصف المستفيض بحيث يصف الباحث النتائج وصفاً دقيقاً تفصيلاً، شرح استراتيجيات الحصول على العينة، مناقشة النتائج في ضوء الدراسات السابقة بمواقف مختلفة	الانتقالية (القابلية للتحويل) Transferability مدى إمكانية نقل النتائج أو تطبيقها في أوضاع مختلفة	التطبيق Applicability	الصدق الخارجي والتعميم External Validity ويقصد به إلى أي مدى يمكن تعميم نتائج العينة على مجتمع الدراسة الكلي	العينات (العينة العشوائية، التطبيقية) تكرار الدراسة في سياقات أخرى، تأكيد التوقع بين المتغيرات التابعة والمستقلة (الصدق البنائي)
عملية جمع البيانات مستمرة حتى التشبع الذي يشير لعدم ظهور مواضيع جديدة، التحليل المستمر للبيانات للوصول للمزيد من تكرار البيانات، الفحص المستمر للبيانات في ضوء الأفكار التي تنتج عن التحليل (تكرار التحليل) المرونة تجاه العملية والموضوع	الاعتمادية Dependability مدى اتساق النتائج فيما يتعلق بالسياقات التي تم إنشاؤها فيها	اتساق وترابط الأدلة Consistency Of Evidence	الثبات Reliability ويقصد به إلى أي مدى يمكن أن تتطابق النتائج عند إعادة تطبيق الدراسة.	تحقيق الاتساق الداخلي تحقيق التباين تحقيق العناصر البارامترية
البحث في الدراسات السابقة للحصول على أدلة تثبت ما توصل إليه من نتائج، مناقشة عملية البحث مع المختصين أو الأقران (تقارير الأقران) الاحتفاظ بمذكرات التأمل حول العمليات ودور الباحث وتأثيره في الدراسة، توثيق القرارات والخطوات المتخذة في البحث وتبرير اتخاذها (سجل التدقيق)	التأكيدية Confirmability مدى استناد النتائج إلى المشاركين في الدراسة وإعداداتها بدلاً من تحيزات الباحثين	موضوعية وحيادية الأدلة Neutrality of Evidence	الموضوعية Objectivity إلى أي مدى يمكن أن يخلو البحث من تأثير قيم الباحث وتحيزاته من البيانات المجموعة.	عدم إصدار الأحكام أثناء جمع البيانات، إخفاء هوية المشاركين، يدع الباحث البيانات تتحدث عن نفسها، حماية البيانات الأساسية

(Frambach, van der Vleuten, & Durning, 2013, p. 552)